افتتاحية العدد:

رواسخ الأمة في تحدي الانفلات الأخلاقي والقيمي والسلوكي لأبنائها

بقلم الأستاذ الدكتور: **لبيب أحمد بصول**

أستاذ العلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة خليفة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

باحث ومؤلف، كتب وكاتب العديد من المقالات والأبحاث العلمية المحكمة في دوريات أكاديمية

عضو في هيئة التحرير لبعض الدوريات الأكاديمية والعلمية.

labeeb.bsoul@ku.ac.ae

يستمر سباق الأمم في التقدم والتطور العلمي والمعرفي وبناء المستقبل، وكلما تسارعت عجلة الازدهار ازدادت المنافسة وظهرت الانحرافات وتقليد الآخر وازداد الاعتماد على العقل ومحاولة تحييد منظومة الدين والأخلاق والقيم. ومع هذا التسارع تتعزز وتتوسع مفاهيم الليبرالية الاجتماعية «التحررية» التي يتبناها الفكر الغربي والأوروبي والتي نشهد اليوم على انتشارها في مجتمعاتنا وبين أبنائنا، نظرا للتأثر بالفكر الغربي والانبهار بالحضارة المادية الغربية الناجم عن ثورة وسائل التواصل والانفتاح العالمي.

اليوم وفي طريقنا لإكمال مسيرة حضارتنا علينا الموازنة بين العنصرين، الروحاني والمادي، لأننا إذا خسرنا أحدهما فسيصعب علينا ردم الخلل الذي سيرافق الخسارة، ولأن الأفكار والثوابت إذا تغلغلت في أعماق ذواتنا فسيصعب اقتلاعها لاحقا، فإننا نؤكد رواسخنا وقيمنا التي نحافظ على موروثها من جيل لآخر عن طريق التربية والتعليم والتهذيب والأخلاق. هذه الثوابت التي تستمد قوتها وتجذرها من عقيدتنا الإسلامية القائمة على التفكر الدائم للبحث عن أسباب الوجود والتفكر في الخلق المفضي إلى الخالق.

ومن أبرز المحاور التي تدعم ثبات الأمة على مواجهة هذا السيل العارم من الإنفلاتات السلوكية والأخلاقية موافقة الشرع للفطرة والحس السليم. فكثير من التعاليم المرتبطة بشريعتنا من تحريم الزنى والربا والشذوذ الجنسي وأكل أموال الناس بالباطل وتحريم

الخمر هي أمور في ظاهرها أوامر ولكنها تجمع بين طياتها نشرا للطمأنينة والأمان في المجتمع. وكذلك ما جاءت به الشريعة الإسلامية من بيان مفصل عن حدود العلاقة والواجبات والحقوق بين الرجل والمرأة، فقوامة الرجل وحقوق المرأة هي مسائل مفصلة بشكل ممنهج وواضح لا ريب فيه لكل فرد من الأفراد قبل الرجوع إلى الأنظمة والتشريعات لحل النزاعات.

إحدى أبرز السمات التي تميز الأمة الإسلامية هي علاقات التواصل والتآزر على مستوى العائلة والمجتمع والتي تشكل بصمة فريدة يتغنى بها كل من يختبرها من خارج الدائرة. فبر الوالدين وصلة الأهل والأقارب، الإحسان للزوجة والأبناء، الحث على الاجتماع ونبذ الفرقة، هي من أبرز الركائز والأسس التي تقوم عليها كل عائلة والتي يمكن اعتبارها لبنة تأخذ مكانها عند بناء المجتمع.

وتاريخ هذا الأمة وشواهدها حاضرة بأمثلة كثيرة يزخر بها إرثنا من حب الخير والهداية وتسامي معاني المروءة والشهامة والكرم ورحمة الناس، كل هذه الشواهد تعزز في داخلنا مجموعة من القيم التي ما زلنا نتمسك بها ونربي أبناءنا عليها لضمان استمراريتنا.

ثمة محوران رئيسيان لتنظيم الحياة: الوازع الأخلاقي المرتبط بالفرد والأنظمة والقوانين والتشريعات التي تنظم العلاقات وتبين الواجبات وتحفظ الحقوق. وعلى الرغم من أن مرجعيات المجتمعات هي الأنظمة البشرية المستمدة من القانون والشريعة فإننا ما زلنا نراهن على الأفراد والأخلاق والثوابت التي تتأصل في أعماقنا وتدعونا إلى تزكية النفس والتربية ومراقبة الخالق قبل الشروع في أي عمل.

اليوم ونحن نحجز مكانا لنا بين الأمم لنعيد ألق حضارتنا التي ما زلنا نتغنى بها ونعمل على إحيائها فإن الرفق والنصح واللين والعفو يجب أن تتقدم على الشدة بما يضمن فرصا متجددة للأشخاص لإعادة النظر في التصرفات بما يتوافق مع المنهج السليم. وبهذا فنحن لا نبني جيلاً مثاليا ولكننا نبني جيلا يخطئ ويصيب ويتعلم من أخطائه لتستمر عجلة الحياة.

لقد امتحنَ معدن الإسلام محنا شتى كالتتار والثورات العديدة والاستعمار الغربي والصهيوني والغزو الثقافي للأمة إلا أنه عاد الإسلام والثوابت المجتمعة المتأثرة بالمفهوم الاسلامي منتصرا على هذه الانتهاكات لحقوق واستقلالية هذه الشعوب والأمم، على سبيل المثال المغرب العربي والجزائر، وفلسطين ومصر وبلاد الشام التي كانت تخضع

بصورة أو بأخرى إلى هذه المشاريع الاستعمارية والصهيونية.

لقد تعرضت هذه الأمة الى تحديات ومؤامرات دخيلة عليها لا تقتصر فقط على الاحتلال العسكري، ولكن هناك تحديات إضافية سياسية واجتماعية وثقافية تسعى لتغيير هوية الأمة الإسلامية وفرض التبعية والضغوط السياسية والخداع لاستنزاف خيراتها وثرواتها الطبيعة عبر وسائل متعددة على اختلاف أشكالها كمقدمة لأولويات أساسية تحت مسميات ومصطلحات متنوعة وأساليب شتى كالعولمة والحداثة والديمقراطية والليبرالية والشذوذ يجري تسويقها على النطاق العالمي كي تغير وتشوه الهوية الفكرية والثقافية والثوابت الذاتية الحضارية للحصول على ظواهر الانحلال والتفكك لهذا الأمة وضوابطها. السكوت على خطر الانحلال الذي ساد في المجتمعات الغربية وأثره يصيب العالم العربي والإسلامي، وهو مؤهل للازدياد وتفريغ الإسلام من محتواه وتشويه حقائقه الناصعة.

جمادى الأولى اكانون الأول 12/ 2022